Qassim University
جامعة القصيم
المجلة العلمية لجامعة القصيم
(مجلة محكمة)

المجلد (٩) – العدد (٣)

مجلة
العلوم العربية والإنسانية

رجب ١٤٣٧هـ – إبريل ٢٠١٦م

النشر العلمي والترجمة

مجلة العلوم العربية والإنسانية
جامعة القصيم، المجلد (٩)، العدد (٣)، ص‌ص ٩٦٥-١٥٢٥ بالعربية، ص‌ص ٢١-٣٩ بالإنجليزية، (رجب ١٤٣٧هـ/ إبريل ٢٠١٦)

المحتويات

صفحة

القسم العربي

تطور مصطلح الشذوذ ومقاييسه في القراءات القرآنية
د. عبدالفتاح محمد عبوش ٩٦٥

(إنِ) النَّافية في القرآن الكريم، استعمالاً ودلالةً
د. محمد عبدالله هزايمه ١٠٢١

ست رسائل مصنفة في الفرق بين (اسم الجنس) و(عَلَم الجنس) دراسة تحليلية مقارنة
د. سليمان بن علي الضحيان ١٠٦٥

الفاءُ الفصيحةُ .. مُحدِّداتها ووظائفُها النصِّية (النصُّ القرآنيُّ نُموذجا)
د. أحمد حمودة موسى ١١٤١

أسلوب الترقي وتصعيد المعاني في سورة القارعة
د. خالد محمد العثيم ١١٨٧

الأسس العلمية لبناء نصوص تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها
د. عبد المنعم حسن الملك عثمان ١٢٢٧

المنهاج النبوي في إدارة الأعمال وتنميتها، من خلال كتاب التجارات من سنن ابن ماجة "دراسة مقارنة"
د. محمد إسماعيل محمد الدييهي ١٣٠١

الخطاب السياسي للدولة الفاطمية تجاه الزعامات المحلية الشامية المعارضة من خلال رسائل العَميدي (ت سنة ٤٣٣هـ/١٠٢٤م)
د. خلود بنت محمد بن عايد الأحمدي ١٣٦٣

دور الحج في إثراء العلاقات السياسية والاقتصادية بين مكة وبلاد الشام في ظل الدولة العثمانية من خلال حكم آل العظم
د. حياة مناور فرحان الرشيدي ١٤١٧

التأثيرات الاجتماعية والسلوكية والمعرفية لاستخدام الطالبة الجامعية لشبكات التواصل الاجتماعي "دراسة مطبقة على عيّنة من طالبات كليّة الخدمة الاجتماعية بجامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن بالرياض"
د. وجدان بنت ابراهيم المقيّل ١٤٧١

القسم الإنجليزي

وصف أثر استخدام أساليب البحث والاستدلال في بيئة نظم المعلومات الجغرافية وعلاقته بخصائص التوزيع الجغرافي لسطح الطلب: مقارنة بين أسلوبي المتوسط والخوارزمات الجينية (الملخص العربي)
إبراهيم بن عبيد الشويش، أليكسيس كومبر، و كريستوفر برنسدن ٣٩

مجلة العلوم العربية والإنسانية
جامعة القصيم، المجلد (٩)، العدد (٣)، ص ص ١٠٢١-١٠٦٣، (رجب ١٤٣٧هـ/ إبريل ٢٠١٦)

(إنِ) النَّافية في القرآن الكريم، استعمالاً ودلالةً

د. محمد عبدالله هزايمه
أستاذ مساعد، قسم اللُّغة العربيَّة وآدابها، كليَّة العلوم والآداب بعنيزة
جامعة القصيم، المملكة العربيَّة السعوديَّة

ملخص البحث. يُعدُّ أُسلوب النَّفي أحد أساليب العربيَّة التي شكَّلت هويتها، فأفْرَدَت له أحرفاً متعددة ليتحصَّل بها هذا الأُسلوب، أحد هذه الأحرف (إن) النافية، وكلُّ حرف منها يحقِّق النَّفيَّ في معناه العام، ولكنَّه يختلف عن غيره من باقي الأحرف في الدِّلالة التي يُحقِّقها في السياق الذي جاء فيه، فكلُّ حرف يختص بنمط معين من السياق فيُحقِّق فيه دلالة تتناسب مع النَّصّ، لا تتحقَّق بغيره من أحرف النَّفي. فجاء هذا البحث لِيدرس إنِ النَّافية في القرآن الكريم، وما يُحقِّقه النَّفيُّ بها من دِلالة في النَّصِّ، فتناولها من مستويين، المستوى الاستعمالي، والمستوى الدِّلالي؛ فاقتضى ذلك أن يكون البحث في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة. أمَّا الفصل الأوَّل فقد تضمَّن المستوى الاستعمالي لـ (إنْ) في التَّنزيل الحكيم، بناءً على ما جُمِع من شواهد وردت فيها إنِ النَّافية، وقد أظهر هذا الفصل أنواع التَّراكيب التي وردت فيها، وتقسيمات ما دخلت عليه من الأسماء والأفعال وتصنيفاتها، وتناول فيه الباحث -أيضاً-أوجه الاختلاف بينها وبين إنِ المخفَّفة المهملة، أمَّا الفصل الثَّاني، فقد بحثت فيه مسألة إعمال كلٍّ من إنِ النَّافية، وإنِ المخفَّفة المهملة، وآراء النُّحاة في ذلك، وحجَّة كلٍّ منهم في رأيه، وأمَّا في الفصل الثَّالث فقد اجتهدت في مسألة دِلالة إنِ النَّافية، وما يتحصَّل معها من بيان لا يتحصَّل مع غيرها من أحرف النَّفيّ، مستشهداً على ذلك بنصوص من التنزيل الحكيم. وفي الخاتمة لخَّصْت ما توصلت إليه من نتائج لهذا البحث.

المقدّمة

الحمد لله ربِّ العالمين، الذي هدانا إلى سواء السبيل، وأنار لنا بالإسلام ظلمة الدُّنيا على يد سيِّد المرسلين نبيِّنا الصادق الأمين، محمد عليه أفضل الصلاة وأتمّ التسليم، وبعد.

لقد عَمَدَت اللُّغة العربيَّة إلى عدد من الأحرف في نفي أمرٍ ما، سواءٌ أكان نفياً لخبر، أونفياً لحدوث فعل، أو نفياً لجنس ما، أو لأيِّ شيء آخر، وإثبات عدم حدوثه. أحد هذه الحروف هو حرف النَّفي (إنْ). ثمَّة مسائل تحفُّ بـ (إنِ) النَّافية، قد تشكُل على بعض الدارسين والمهتمِّين باللُّغة العربيَّة، وقد يصل الأمر إلى أن بعض الدَّارسين للُّغة العربيَّة في مستوى درجة البكالوريوس قد يصعب عليهم التَّعرف على هذا الحرف، وقد يخلطون بينه وبين (إن) الشرطيَّة، أو (إن) الناصبة، أو (إن) المخفَّفة من الثَّقيلة، ويمكن حصْرُ هذه المسائل بما يلي:

١ - التَّركيب الذي تدخل عليه (إنِ) النَّافية، وما يجب أن يُرافقها في ذلك التركيب.

٢ - يمرُّ الدَّارس في كثير من المؤلفات النَّحويَّة على بعض العبارات فيقرأ نحو: (إنِ المكسورة الخفيفة)، أو (إنِ المخفَّفة) أو (إنِ المهملة)، فقد يظن البعض أن كلَّها شيء واحد.

٣ - الخلاف فيما بين النحويين في مسألة إعمالها أو إهمالها، واستقراء ذلك من خلال ورودها في القرآن الحكيم.

٤ - قد يشكُل على بعض الدارسين التفريق بين (إنِ) النَّافية، وبين (إنِ) المخفَّفة من الثَّقيلة، ومحاولة استنتاج التركيب الذي ترد فيه كلٌّ منهما.

٥ -ثَمَّة مسألة متعلقة بدلالة إنِ النَّافية، وقيام (ما) مقامها في النفي، فهل تتحصَّل الدِّلالة نفسها مع (ما)؟وتُحقِّق البيان نفسه الَّذي تحقَّق مع (إنْ) ؟

وللوقوف على هذه المسائل جاءَت هذه الدراسة الموسومة بعنوان: (إنِ) النَّافية في القرآن الكريم (استعمالاً ودلالة).

فكان اختيار كتاب الله العزيز مجالاً تطبيقياً لهذه الدراسة؛ لما يزخر به من بلاغة وبيان وإعجاز، وما مِن صاحب عقل يشكُّ في أن تلك البلاغة، وذانك البيان والإعجاز، ما ارتسم كلُّ ذلك إلاَّ باستعمال كلِّ حرف، وكلِّ كلمة، وكلِّ جملة في موضعها. لقد اقتضت الدِّراسة أن تكون في ثلاثة فصول، يسبقها مقدِّمة وتمهيد، ثمَّ خاتمة في نهاية البحث. وقد ارتأيت أن أستقصي جميع الآيات الكريمة التي وردت فيها (إنِ) النَّافية، وأن أستطرد في عملية الاستشهاد بها؛ لما لكثرة الشواهد أو قلتها من أهميَّة في الحكم النحويِّ. وقد تكرر الاستشهاد ببعض الآيات الكريمة في أكثر من موضع من البحث كلما اقتضت الحاجة إليها.

التمهيد

تتسم اللُّغة العربيَّة بسمات متعددة في جميع مستوياتها؛ في حروفها، ومفرداتها، وإعرابها، ودقة تعبيرها، وإيجازها، تلك اللُّغة التي فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها، ودقَّة معانيها، وحسن نظام مبانيها، فتعددت أساليبها، وتنوعت حتى أكسبتها شجاعة متميِّزة، لا ترقى إليها لغة أخرى. وأسلوب النَّفي هو أحد أساليب العربيَّة الَّتي أفردت له أحرفاً يتحصَّل بها هذا الأسلوب، وقد تعددت هذه الأحرف وتنوعت؛ فمنها: (لا)، و(ما)، و(لم)، و(لن)، و(لَّما)، و(ليس)، و(غير)، و(لات)، و(لا النافية للجنس)، و(إن) المخفَّفة من الثقيلة.

أحرف متعددة لتؤدِّي – في مقصدها العام – معنىً واحداً هو النفي، فإذا كان الأمر كذلك، فلِمَ هذا التعدد لأحرف النَّفي؟ ألم يكن الاكتفاء بحرف واحد أو حرفين لتحقيق هذا الأسلوب أيسر وأسهل على مُستعِمل هذه اللغة؟ في حقيقة الأمر لم تكن المسألة على هذا النحو، فالتعدُّد في هذه الأحرف يعني التوسع والتنوع في الدِّلالة، فالمعنى الذي يتحصَّل مع حرف النفي (لا) لن يتحقَّق بالدِّلالة نفسها مع الحرف (ما)، والبلاغة التي نأتي عليها في سياق النفي مع الحرف (إنْ) لن نقف عليها مع (ما).

فحرف النفي (إنْ) هو صورة من الصور التي ترد عليها إنِ المكسورة الخفيفة، فمثلها تكون شرطيَّة، أو زائدة، أو مخفَّفة من الثقيلة، أو تكون نافية، وهي تدخل على الجملتين الاسميّة والفعليَّة [١]، نحو: ﴿إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ﴾ [٢]، و﴿إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا﴾ [٣]. وتُجرى مجرى (ما) في النَّفي كما وصفها النُّحاة. ويُفرَّق بينها وبين إنِ النَّافية المخفَّفة من الثَّقيلة، بأنَّه عندما تُخفَّف إنْ من الثَّقيلة يلزم خبرها اللام للفرق بينها وبين إنِ النَّافية[٤]. وأمَّا إعمالها في الجملة فمسألة خلافية، إذ انقسم النَّحويون إلى فريقين، فمنهم من ذهب إلى إعمالها، ومنهم من خالف ذلك فقال بإهمالها، وكلٌّ له حجته فيما ذهب إليه.

وقد وردت إنِ النافية في القرآن الحكيم كثيراً، حيث وصلت مرات ذكرها – تقريباً – إلى مائة وعشر، وهي تؤدِّي دلالة معيَّنة في سياق كلِّ آية من الآيات الكريمة،

---

(١) الإقليد شرح المفصل، تاج الدين أحمد بن محمود الجندي، تح: محمود أحمد الدراويش، الطبعة الأولى، المجلد: الرابع، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، ٢٠٠٢، ص١٧٧٦.

(٢) سورة الملك، آية ٢٠.

(٣) سورة النساء، آية ٦٢.

(٤) شرح المكودي على ألفية ابن مالك، تح: فاطمة الراجحي، جامعة الكويت،ج١٩٩٣،١، ص٢٣٥.

لا أظن أن ذلك المعنى أو البيان نفسه يتحصَّل بغيرها من أحرف النَّفي، وللوقوف على جوانب هذا الحرف نأتي على مباحث هذه الدراسة. وهي على النحو التالي:

الفصل الأوَّل: (إن) النَّافية.

المبحث الأوَّل: استعمال إنِ النَّافية

المبحث الثَّاني: الفرق بين إنِ النَّافية وإنِ المخفَّفة المهملة

الفصل الثَّاني: إعمال إنِ النَّافية.

المبحث الأوَّل: إنِ النَّافية بين الإعمال والإهمال

المبحث الثَّاني: إنِ المخفَّفة المهملة بين الإعمال والإهمال

الفصل الثَّالث: دلالة إنِ النَّافية.

الفصل الأوَّل: (إن) النَّافية.

المبحث الأوَّل: استعمال (إنِ) النَّافية

لم يُقتصر استعمال (إنِ) النَّافية على نمط محدد من الجمل، فقد عُرِفت في ميزان النحاة أنَّها بمنزلة (ما). فهي تدخل على الجملتين الفعليَّة والاسميَّة كقولك: (إنْ يقومُ زيد)، و (إنْ زيدٌ قائم) [٥] ولا يُشترط في اسمها وخبرها أن يكونا نكرتين بل تعمل في النكرة والمعرفة[٦]. فمن إعمالها في النكرة قولهم: "وإنْ أحدٌ خيراً من أحدٍ إلاَّ

(٥) الإقليد شرح المفصل، مجلد٤، ص١٧٧٦.

(٦) شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك، محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ج١،ص٣١٩.

بالعافية"، ومن إعمالها في المعرفة قوله [٧]: إنْ هو مستولياً على أحدٍ إلاَّ على أضعف المجانين[٨]

ومن عملها في معرفتين، سُمِع: "إنْ ذلِكَ نافِعَكَ ولا ضارَّك"[٩]. ولا يشترط في هذه الجملة أن تكون على أصلها؛ بأنْ يتقدم المبتدأ ويتأخر الخبر، ولا يشترط أن يكون الاسم في الجملة الاسميَّة مبنيًّا أو معرباً، ولا أن يكون معرفة أو نكرة.وعند مجاوزة حدود هذا الكلام إلى حصْر ما قد استُعمِلت فيه من سياقات في القرآن الكريم، لَتَبيَّن أنَّها استُعمِلت في سياق الجملتين الاسميَّة والفعليَّة، وعلى النحو التَّالي:

أولاً: دخولها على الجملة الاسميَّة.

تدخل (إنْ) على الجملة الاسميَّة، سواءٌ أكان فيها المبتدأ مقدَّماً أم مؤخَّراً، أو كان مبنيّاً أم معرباً، أو كان معرفة أم نكرة، ويُفصَّل ذلك بما يلي:

١ - دخولها على الأسماء المبنيَّة.

فمِمَّا دخلت عليه من الأسماء المبنيَّة الضمائر، وأسماء الإشارة، إذ دخلت على ضمائر المتكلِّم والمخاطب والغائب، فمن دخولها على ضمير المتكلِّم، قوله تعالى: ﴿إِنْ أَنَاْ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ [١٠]، ومنه ﴿إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [١١] ومن دخولها على الضمائر – أيضاً – دخولها على ضمير المخاطب، نحو قوله تعالى: ﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا

(٧) شرح المكودي على ألفية ابن مالك، ج١، ص٢١١.

(٨) البيت بلا نسبة وانشده الكسائي (ينظر في توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، ج١، ص٥١٢).

(٩) شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، محمد محيي الدين عبدالحميد، (د.ن)، (د.ت)، ص١٩٩.

(١٠) سورة الأعراف، آية ١٨٨، سورة الشعراء، آية ١١٥.

(١١) سورة ابراهيم، آية ١١.

نَذِيرٌ ﴾[١٢]، ومنه ﴿ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴾ [١٣]، و ﴿ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾[١٤]، و﴿ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴾[١٥]، و﴿ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴾ [١٦]، و﴿ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [١٧]و﴿ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴾ [١٨]، و﴿ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾ [١٩]، أمَّا دخولها على ضمير الغائب فقد تجلَّى في قوله تعالى: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ ﴾[٢٠]، و﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴾[٢١]،ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾[٢٢]، ومنه ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾[٢٣] ومنه ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم ﴾[٢٤]، وقوله تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا ﴾[٢٥]وأمَّا دخولها على أسماء الإشارة، فقد انحصر ذلك في اسم الإشارة (هذا)، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾[٢٦]، ومنه ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [٢٧]، ومنه ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ

---

(١٢) سورة فاطر، آية ٢٣.
(١٣) سورة هود، آية ٥٠.
(١٤) سورة إبراهيم، آية ١٠.
(١٥) سورة الروم، آية ٥٨.
(١٦) سورة يس، آية ١٥.
(١٧) سورة يس، آية ٤٧.
(١٨) سورة الملك، آية ٩.
(١٩) سورة الأنعام، آية ١٤٨
(٢٠) سورة الأنعام، آية٩٠، سورة صَ، آية٨٧، سورة يوسف، آية١٠٤، التكوير، آية٢٧
(٢١) سورة يس، آية ٦٩.
(٢٢) سورة البقرة، آية ٧٨، سورة الجاثية، آية ٢٤.
(٢٣) سورة الفرقان، آية ٤٤.
(٢٤) سورة النجم، آية ٢٣
(٢٥) سورة الأنعام، آية ٢٩، سورة المؤمنون، آية ٣٧.
(٢٦) سورة المائدة، آية ١١٠.
(٢٧) سورة الأنعام، آية ٢٥.

مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾[٢٨]، و﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾[٢٩]، و﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[٣٠]، و﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴾[٣١]، و﴿ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴾[٣٢]، وقوله تعالى: ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴾[٣٣].

٢ - دخولها على الأسماء المعربة.

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾[٣٤]، وقوله تعالى: ﴿ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ ﴾[٣٥]، و﴿ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ﴾[٣٦]، و﴿ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِي ﴾[٣٧]، و﴿ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْ ﴾[٣٨]، ومنه ﴿ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴾[٣٩] ومنه ﴿ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴾[٤٠]

نتبيَّن ممَّا سبق ذكره أنَّ (إنْ) قد دخلت على الجملة الاسميَّة، وقد جاءَت استصحاباً للأصل؛ تقدم فيها المبتدأ وتأخر خبره، ودخلت عليها – أيضاً – وقد عُدِل

---

(٢٨) سورة يوسف، آية ٣١

(٢٩) سورة الفرقان، آية ٤.

(٣٠) سورة الشعراء، آية ١٣٧.

(٣١) سورة صَ، آية ٧.

(٣٢) سورة المدثر، آية ٢٤

(٣٣) سورة المدثر، آية ٢٥.

(٣٤) سورة الأنعام، آية ٥٧، يوسف، الآيتان ٤٠، ٦٧..

(٣٥) سورة الأنفال، آية ٣٤

(٣٦) سورة يونس، آية ٧٢، هود، آية ٢٩، سبأ، آية ٤٧.

(٣٧) سورة هود، آية ٥١.

(٣٨) سورة المجادلة، آية ٢.

(٣٩) سورة الملك، آية ٢٠.

(٤٠) سورة الشعراء، آية ١١٣.

فيها عن الأصل، فتقدم الخبر وهو شبه جملة وتأخر مبتدأه، نحو قوله تعالى ﴿ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ ﴾[٤١]، وقوله تعالى: ﴿ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ ﴾[٤٢]. ففي الآية الأولى جاء المبتدأ (كِبْرٌ) نكرة ليس لها مسوغ إلاَّ تقديم الخبر وهو جار ومجرور[٤٣]؛ لذلك تقدم الخبر وجوباً، وفي الآية الثَّانية اقتضى السياق حصر المبتدأ؛ لذلك تقدَّم الخبر وجوباً. وممَّا تجدر الإشارة إليه أنَّ المبتدأ الدَّاخلة عليه في جميع هذه السياقات القرآنيَّة جاء معرفة؛ فإمَّا مُعرَّفاً بأل، أو معرَّفاً بالإضافة فالكلمات (الحكم، وأولياؤه، وأجري، وأمهاتهم، والكافرون، وحسابهم) كلُّها معارف، ولم ترد مع نكرة إلا ما سبق ذكره من أنها دخلت على مبتدأ نكرة مؤخر وقد سوَّغ ذلك تقديم الخبر؛ بمعنى أنها لم تباشر نكرة في أيٍّ من السياقات. وهذا ما يخالف ما استُشهد به على إعمالها في النكرة، وهو قولهم: "وإن أحدٌ خيراً من أحدٍ إلاَّبالعافية"، ولم نجد غيره على ذلك. ممَّا يُضعف القول بإعمالها في النَّكرة.

٣ - دخولها على المبتدأ المجرور بمن الزائدة.

يظهر هذا في قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ ﴾[٤٤]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾[٤٥]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾[٤٦]، وقوله

(٤١) سورة غافر، آية ٥٦.
(٤٢) سورة الشورى، آية ٤٨.
(٤٣) شرح ابن عقيل، ج١، ص٢٤٠.
(٤٤) سورة الحجر، آية ٢١.
(٤٥) سورة الإسراء، آية ٤٤.
(٤٦) سورة مريم، آية ٧١.

تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾[٤٧]، ومنه ﴿ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَٰذَآ ﴾[٤٨].

نستقرئ من كل ذلك أنَّ (إنِ) النَّافية قد تدخل على الجملة الاسميَّة المبدوءَة بنكرة، فتجعل هذه النكرة عامَّة؛ لأنَّ تقدُّم حرف النَّفي على النَّكرة يجعلها عامَّة، وعموم النَّكرة عند التحقيق هو المسوِّغ للابتداء بها؛ إذ الممنوع إنما هو الحكم على فرد مبهم غير معين، فأمَّا الحكم على جميع الأفراد فلا مانع منه[٤٩]. لهذا اقتضى دخول إنِ النَّافية على النَّكرة في هذه السياقات أن يجعلها عامَّة، ولا يتحقَّق هذا العموم إلاَّ بحرف الجر (من). فهو يفيد توكيد العموم[٥٠]. فالكلمات (شيء) و (أمّة) و (سلطان) وكذلك ضمير الجمع في (منكم) كلُّها تفيد العموم، ولكن حرف الجر يؤكِّد هذا العموم ويحقِّقه. ألا ترى أننا لوقلنا: (ما جاء أحدٌ)، فإنَّ (أحد) على الرغم من أنَّها كلمة عامَّة فهي لا تنفي مطلق المجيء، وقد يُفهم من الكلام أو يؤوّل على أنَّه ما جاء واحدٌ بل اثنان، أمَّا عند دخول (مِنْ) فإنَّه يتحقَّق هذا العموم ويُؤكَّد، عندئذٍ لن يُفهم من قولنا: (ما جاء من أحدٍ) إلاَّ نفي المجيء لأي واحد مطلقاً. وهذا يُرجح ما ذهبنا إليه — كما مرَّ — من القول بضعف إعمالها في النكرة المحددة، ما لم تكن عامَّة مطلقاً.

ثانياً: دخولها على الجملة الفعليَّة.

تجلَّى ذلك في الجمل الفعليَّة الإخبارية، سواءٌ أكان زمنها ماضياً أم مضارعاً دالاً على الحال، فمن دخولها على الماضي قوله تعالى: ﴿ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا

---

(٤٧) سورة فاطر، آية ٢٤.

(٤٨) سورة يونس، آية ٦٨.

(٤٩) شرح ابن عقيل، ج١، ص٢١٧.

(٥٠) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام، تح: مازن المبارك، محمد علي حمدالله، مراجعة: سعيد الأفغاني، الطبعة: الثالثة، دار الفكر، بيروت، ص٤٢٥.

وَتَوْفِيقًا ﴾[٥١]، وقوله تعالى: ﴿ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ﴾[٥٢]، وقوله تعالى: ﴿ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[٥٣]، ومنه ﴿ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴾ [٥٤]، و﴿ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴾ [٥٥]، ومن ذلك قوله تعالى ﴿ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾[٥٦].

أمَّا دخولها على المضارع فكثير في التَّنزيل، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴾[٥٧]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾[٥٨]، ومنه ﴿ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ﴾[٥٩]، و﴿ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾ [٦٠]، و﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ﴾[٦١]، وقوله تعالى: ﴿ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ﴾ [٦٢]، ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ﴾[٦٣]، و﴿ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾[٦٤]، ومنه قوله تعالى ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا

---

(٥١) سورة النساء، آية ٦٢.

(٥٢) سورة التوبة، آية ١٠٧.

(٥٣) سورة الإسراء، آية ٥٢، المؤمنون، آية ١١٤.

(٥٤) سورة طه، آية ١٠٣

(٥٥) سورة طه، آية ١٠٤.

(٥٦) سورة فاطر، آية ٤١.

(٥٧) سورة النساء، آية ١١٧.

(٥٨) سورة الأنعام، آية ٢٦.

(٥٩) سورة الأنعام، آية ١٤٨، النجم، آية ٢٨.

(٦٠) سورة الإسراء، آية ٤٧، الفرقان، آية ٨.

(٦١) سورة يونس، آية ٦٦، النجم، الآيتان ٢٣، ٢٨.

(٦٢) سورة يونس، آية ١٥، الاحقاف، آية ٩، الأنعام، آية ٥٠.

(٦٣) سورة هود، آية ٥٤.

(٦٤) سورة الكهف، آية ٥.

ٱسْتَطَعْتُ ﴾[٦٥]، و ﴿ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾[٦٦]، و ﴿ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾[٦٧]، ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا ﴾[٦٨]، ومنه ﴿ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴾[٦٩]، ومنه قوله تعالى: ﴿ إِن يَعِدُ ٱلظَّـٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴾[٧٠]، ومنه ﴿ إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾[٧١]، ومنه ﴿ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴾[٧٢]، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾[٧٣]، و ﴿ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴾[٧٤]، و ﴿ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴾[٧٥].

بعد العرض لهذه الطَّائفة من الآيات الكريمة يتَّضح أنَّ إنِ النَّافية قد دخلت على الفعل بزمنَيْه الماضي والمضارع، فالماضي تمثَّل بالأفعال (أراد، ولبث، وأمسك)، أمَّا المضارع فتمثَّل بالأفعال (يَدْعون، ويُهلِكون، وتتبعون، ونقول، وأريد، ويتَّخذونك، وتُسْمِع، ويَعِد، ويوحي، ونظُنُّ، وأدري) وأُنبِّه إلى أنَّ بعض هذه الأفعال قد تكرر في آيات أخرى بصيغ متعددة واكتفينا بالإشارة إلى واحدة من هذه الصِّيغ. وممَّا يجدر ذكره في

---

(٦٥) سورة هود، آية ٨٨.

(٦٦) سورة القصص، آية ١٩.

(٦٧) سورة الأحزاب، آية ١٣.

(٦٨) سورة الفرقان، آية ٤١.

(٦٩) سور النمل، آية ٨١، الروم، آية ٥٣.

(٧٠) سورة فاطر، آية ٤٠.

(٧١) سورة صَ، آية ٧٠.

(٧٢) سورة الجاثية، آية ٣٢.

(٧٣) سورة الأنبياء، آية ١١١.

(٧٤) سورة الأنبياء، آية ١٠٩.

(٧٥) سورة الجن، آية ٢٥.

هذه الأفعال أنَّ جميعها أفعال متعديَّة ؛ تتعدى إلى مفعول واحد، سواءٌ أكانت ماضية أم مضارعة، الأمر الذي يدعو إلى القول إنَّ النفي بـ (إنْ) – على الأغلب – ينحصر في الفعل المتعدِّي دون اللازم، وعليه فلا نقول: إنْ نام الطفل، وإنْ جلس الرجل، وإنْ جاء زيدٌ، ولا نقول إنْ ينام الطفل، وإنْ يجلس الرجل، وإنْ يجيء زيد، وإنَّما نقول: إن حفظ زيدٌ إلاَّ درسه، وإن يدعو عمرو إلاَّ أخاه، إذ يُنفى الفعل اللازم بـ (ما) مثلما يُنفى المتعدِّي بها، فنقول: ما جاء زيد، وما جلس الرجل، وما نام الطفل، فهي تنفي وقوع الفعل من فاعله ؛ أي تنفي حدوث الفعل، مثلما تنفي وقوع الفعل على مفعوله، فنقول: ما ضرب زيدٌ إلاَّ عمراً، وما دعا الرجل إلاَّ صديقه. قال تعالى: ﴿وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾[٧٦]، و﴿وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾[٧٧].ألا ترى أنَّ قولنا: ما خرج زيد أبلغ وأصوب من قولنا: إن خرج زيد، فالنَّفي مع (ما) أبْيَن منه مع إنْ، وقد يلتبس معها بالشَّرط، فقد يوهم السامع أنَّ في الجملة شرطاً.

ويخلص القول إلى أنَّ (ما) يُنفى بها الفعل اللازم والمتعدي، أمَّا (إنْ) فتختَّص بنفي المتعدِّي ؛ بمعنى أنَّها لا تصلح لنفي إسناد الفعل إلى فاعله، وإنَّما لنفي وقوع الفعل على أي شيء آخر غير مفعوله ؛ بمعنى أنَّها تكون لحصر الفعل بمفعوله. فعند قولنا: (إن يُكرم زيدٌ إلاَّ أخاه) فإننا لم ننف حدوث فعل الكرم من فاعله (زيد)، ولم ننفِ – أيضاً – وقوع فعل الكرم من زيد على أخيه، وإنَّما نكون قد نفينا وقوع فعل الكرم من زيد على أيٍّ من الناس، وحصره بالوقوع على أخيه.

وبهذا يمكننا أن نردَّ ما جاء به بعض الدارسين من أمثلة مصنوعة مثَّلوا بها لدخول إنْ على الفعل، من غير أن يتنبهوا إلى مسألة لزوم الفعل وتعدِّيه. فممَّا ورد من ذلك أنَّ

---

(٧٦) سورة الأنعام، آية ٢٦.

(٧٧) سورة القصص، آية ١٩.

(ما) و(إنْ) تنفيان الماضي نحو: (ما جئت، وإنْ جاء إلاَّ أنا)، والحال نحو: (وما أذهب، وإنْ يذهب إلاَّ أنا)[٧٨]. ألا تلمح الضعف والركاكة في مثل هذه التراكيب؟!

المبحث الثَّاني: الفرق ما بين (إنِ) النَّافية و(إنِ) المخفَّفة من الثَّقيلة المهملة.

أمَّا إنِ النَّافية، فقد أشار إليها النُّحاة بوصفها إنِ المكسورة الخفيفة (إنْ)، وثَمَّة إشارات لها من حيث الاستعمال والعمل، ويعتبر النَّفي وجهاً من أوجه (إنْ) المكسورة الخفيفة؛ لذلك تُسمى (إنِ) النَّافية؛ شأنها شأن ما سُمِّيت به إنِ المكسورة الخفيفة في أوجه الاستعمال الأخرى. مثل (إنِ) المكسورة الخفيفة التي تفيد الشرط، فسميت بـ (إنِ) الشَّرطيَّة، نحو قوله تعالى: ﴿إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم﴾[٧٩]، - أيضاً - مثل (إنِ) المخفَّفة من الثَّقيلة، نحو قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ﴾[٨٠]، كذلك مثل (إنِ) الزَّائدة، نحو قول الشاعر[٨١]:

ما إنْ اتيت بشيء أنت تكرهه إذنْ فلا رفعتْ سوطي إليَّ يدي[٨٢]

وعليه فإنَّ (إنِ) النَّافية هي (إن) المكسورة الخفيفة، وهذه الخفيفة ترد على أربعة أوجه: أن تكون زائدة، وشرطيَّة، ومخفَّفة من الثَّقيلة، ونافية. يُفهم من ذلك أنَّ (إنِ) النَّافية غير (إنِ) المخفَّفة من الثَّقيلة، سواءٌ أكانتا عاملتين، أم غير عاملتين، وسبيل التفريق بينهما، هو بيان أوجه استعمال كلٍّ منهما، فإنِ النَّافية سبق تفصيل أوجه

---

(٧٨) سلم اللسان في الصرف والنحو والبيان، جرجي شاهين عطية، الطبعة: الرابعة، دار ريحاني للطباعة والنشر، بيروت، (د.ت) ص٣٨٣.

(٧٩) سورة الأنفال، آية ٣٨.

(٨٠) سورة هود، آية ١١٢.

(٨١) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ص٣٨.

(٨٢) البيت للنابغة الذبياني من قصيدةٍ له في اعتذاره للنعمان (ينظر في أمالي ابن الشجري، ج٣، ص١٤٨)

استعمالها، فهي تدخل على الجملة الاسميَّة، نحو ﴿ إِنِ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴾[٨٣]، و﴿ إِن يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثٗا ﴾[٨٤] ومنه في التنزيل كثير. وذكرها ابن يعيش بقوله: اعلم أنَّ إنِ المكسورة الخفيفة قد تكون نافية ومجراها مجرى (ما) في نفي الحال، وتدخل على الجملتين الفعليَّة والاسميَّة، نحو قولك: إنْ زيدٌ إلاَّ قائم، قال تعالى: ﴿إِنِ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴾[٨٥]، وقال: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ﴾[٨٦] [٨٧].

وأمَّا إن المخففة من الثقيلة المهملة، فأصلها (إنَّ) الثقيلة التي تختص بالجملة الاسميَّة، ثمَّ خُفِّفت. والمقصود بتخفيفها هو حذف إحدى نونيها؛ لأنَّها مكونة من ثلاثة أحرف هي الهمزة، والنُّون المشدَّدة تُحسب بحرفين، فإذا خُفِّفت حُذِفت إحدى النونين، فصارت إنْ[٨٨]، وتُحدَّد المحذوفة بالنُّون المحركة؛ لأنَّها آخر[٨٩].

وممَّا ذُكِر فيها –أيضاً– أنَّه يجوز فيها التَّخفيف، عندئذ تصلح للدخول على الجمل الاسميَّة والفعليَّة، بعد أن كانت مع التشديد مختصَّة بالاسميَّة[٩٠]. وهناك من حصر دخولها على الجملة الفعليَّة بالأفعال النَّاسخة – في الغالب – كقوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً ﴾[٩١]، وفي ذلك يقول ابن مالك[٩٢]:

---

(٨٣) سورة الملك، آية ٢٠.

(٨٤) سورة النساء، آية ١١٦.

(٨٥) سورة الملك، آية ٢٠.

(٨٦) سورة يونس، آية ٦٦.

(٨٧) شرح المفصل، لابن يعيش، عالم الكتب، بيروت، ج٨،(د.ت) ص١١٢، ١١٣.

(٨٨) شرح ألفية ابن مالك حتى نهاية إعمال المصدر، علي الزامل، الطبعة: الأولى، دار التدمرية، الرياض،٢٠١١، ص٤٧٧.

(٨٩) شرح شذور الذهب، ص٢٨١.

(٩٠) النحو الوافي، عباس حسن. دار المعارف، الطبعة الخامسة عشرة، ج١، ص٦٧٣.

(٩١) سورة البقرة، آية ١٤٣.

(٩٢) ألفية ابن مالك، محمد بن عبدالله بن مالك الطائي، دار التعاون، (د.ت) ، ص٢٢.

والفعل إن لم يكُ ناسخاً فلا تلفيه غالباً بإنْ ذي موصلا

أمَّا سيبويه فجعلها بمنزلة (لكنْ) حين خففها، "واعلم أنَّهم يقولون: إنْ زيدٌ لذاهب، وإنْ عمروٌ لخير منك، لما خففها جعلها بمنزلة لكن حين خففها، وألزمها اللام لئلا تلتبس بإن التي هي بمنزلة ما التي تنفي بها، ومثل ذلك: ﴿ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾[٩٣]، إنَّما هي لَعلَيها حافظٌ، وقال تعالى: ﴿ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾[٩٤]، إنَّما هي لجميعٌ، و(ما) لَغْوٌ"[٩٥]. وذُكر فيها – أيضاً– أنَّها تُخفَّف فتُهمل غالباً، وتلزم اللَّام إنْ خِيف لبس بالنَّافية وهي الابتدائية، ولا تعمل هذه المخفَّفة في ضمير ولا يليها -غالبا - فعل إلاَّ متصرف ناسخ ماض أو مضارع[٩٦].

وقد فرَّق ابن مالك بين المخفَّفة والنَّافية، ويلزم هذا التفريق عند إهمال المخفَّفة؛ فتلزمها اللَّام الفارقة، أمَّا إذا أُعملت فلا نلزمها حينئذٍ اللَّام؛ لأنها لا تلتبس – والحالة هذه – بالنَّافية؛ لأنَّ النَّافية لا تنصب الاسم وترفع الخبر، وإنما يحدث اللَّبس إذا أُهملت ولم يظهر المقصود بها، وقد يُستغى عن اللَّام، كقوله:

ونحن أُباة الضَّيم من آل مالك وإنْ مالكٌ كانت كرامَ المعادن[٩٧]

---

(٩٣) سورة الطارق، آية ٤.

(٩٤) سورة يَس، آية ٣٢.

(٩٥) كتاب سيبويه، ج٢، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تح: عبدالسلام محمد هارون، الطبعة: الثالثة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ٢٠٠٢، ص١٣٩.

(٩٦) همع الهوامع، شرح جمع الجوامع في علم العربية، السيوطي، صححه: محمد بدر الدين النعساني، الجزء: الأول، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ج١، ص١٤١.

(٩٧) البيت للطرماح الحكم بن حكيم وكنيته أبو نفر (ينظر في توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، ج١، ص٥٣٧)

والتقدير: وإنْ مالك لكانت، فحذفت اللَّام؛ لأنَّها لا تلتبس بالنَّافية؛ لأنَّ المعنى على الإثبات فجاءَ قوله(٩٨):

وخففتْ إنَّ فقلَّ العمل وتلزم اللامُ اذا ما تهمل

وربما استغني عنها إنْ بَدآ ما ناطق أراده معتمدا

حيث أغنت عن اللَّام في البيت قرينة معنويَّة. فالبيت لا شك أنَّه فخر، وأنَّه يثني على عشيرته، فلو أنَّ (إنْ) هذه كانت نافية، لكان في البيت تناقض؛ لأنَّه يصير: أنا ابن أُباة الضَّيم من آل مالك، وما مالك كانت كرام المعادن؛ فيصير للنفي، ولَّما كان الشَّطر الأوَّل من البيت فخراً دلَّ على أنَّ (إنْ) في الشَّطر الأخير مخفَّفة من الثَّقيلة، وأنَّ التقدير: وإنَّ مالكاً كانت كرامَ المعادن(٩٩).

وقد يُغني عنها – أيضاً – قرينة لفظيَّة؛ نحو: إنْ زيدٌ لن يقوم، فالقرينة تتمثل بالخبر المنفي، ولام الابتداء لا تدخل على المنفي، ويبعد في الفصيح أن يراد بـ (إن) النفي لوجوده في الخبر ولو أُريد ذلك؛ لجيء بالكلام مثبتاً من أوَّل الأمر بدلاً من إدخال النَّفي على النَّفي لإبطال الأوَّل(١٠٠).لأنَّ إدخال النَّفي على النَّفي لإبطال الأوَّل قليل جداً في الكلام الفصيح؛ إذْ يمكن مجيء الكلام مثبتاً من أوَّل الأمر، من غير حاجة إلى نفي النَّفي المؤدِّي للإثبات بعد تطويل، ومثال القرينة المعنويَّة – أيضاً –(إنِ العاقلُ يتبع سبيل الرشاد)، إذاً المعنى يفسد على اعتبار (إنْ) للنفي، ولا فرق في القرينة بين أن تكون لفظيَّة أو معنويَّة، والمعنويَّة أقوى(١٠١). يعني أنَّه قد يُستغني عن اللام بعد إن المخفَّفة إذا أُمن

(٩٨) شرح ابن عقيل، ج١، ص ٣٧٧ – ٣٨٠.

(٩٩) شرح ألفية ابن مالك، الزامل، ج١، ص ٤٧٨، ٤٧٩.

(١٠٠) ضياء السالك إلى أوضح المسالك، وهو صفوة الكلام على توضيح ابن هشام، محمد عبدالعزيز النجار، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ج١، ٢٠٠١، ص ٣٢٧.

(١٠١) النحو الوافي، ص ٦٧٤.

اللَّبس بينها وبين (إنِ) النَّافية لاعتماد النَّاطق بها على ذلك[١٠٢]. ثمَّ يجب أن يراعى فيها أن يكون اسمها – قبل إهمالها – اسماً ظاهراً، لا ضميراً[١٠٣].

وأمَّا الكوفيُّون فلهم رأي مخالف، فيرون أنَّه إذا جاءَت بعدها اللَّام تكون بمعنى (ما) واللام بمعنى (إلاَّ) وحجتهم أن ذلك قد جاء كثيراً في كتاب الله وكلام العرب قال الله تعالى: ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ﴾[١٠٤]، أي وما كادوا إلاَّ يستفزونك، وقال تعالى: ﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ ﴾[١٠٥]؛ أي وما كادوا إلاَّ يزلقونك، وأمَّا البصريُّون فيرون أنَّها مخفَّفة من الثَّقيلة واللَّام بعدها لام التأكيد، وحجَّتهم أنَّهم وجدوا لها في كلام العرب نظيراً، فأجمعوا على أنَّه يجوز تخفيف (إنْ) وإن اختلفوا في بطلان عملها مع التخفيف، وقالوا إنَّ اللَّام لام التأكيد؛ لأنَّ لها – أيضاً – نظيراً في كلام العرب، وكون اللَّام للتأكيد في كلام العرب ممَّا لا يُنكر لكثرته، فحكموا على اللَّام بما لا نظير في كلام العرب، فأمَّا كون اللام بمعنى (إلاَّ) فهو شيء ليس له نظير في كلام العرب والمصير إلى ما له نظير في كلامهم أولى من المصير إلى ما ليس له نظير[١٠٦]. أمَّا جواب البصريين عن كلمات الكوفيين: فاحتجاجهم بالآيات، وما أنشدوه على أنَّ (إنْ) بمعنى (ما)، واللام بمعنى (إلاَّ) فلا حجَّة لهم في شيء من ذلك؛ لأنَّه –كما يذكر البصريُّون– محمول على ما ذهبوا إليه من أنَّ (إنْ) مخفَّفة من الثَّقيلة واللَّام لام التَّأكيد، والذي يدلُّ على ذلك أنّ (إنْ) التي بمعنى (ما) لا تجيء اللَّام

---

(١٠٢) شرح المكودي، ج١، ص٢٣٦.

(١٠٣) النحو الوافي، ص ٦٧٣.

(١٠٤) سورة الإسراء، آية ٧٦.

(١٠٥) سورة القلم، آية ٥١.

(١٠٦) الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، ص ٥٠٨، ٥٠٩.

معها، كما قال الله تعالى: ﴿ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴾[١٠٧]، وقوله تعالى: ﴿ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴾[١٠٨]، ولم تجيء مع شيء منها اللام[١٠٩].

يُفهم من كلٍّ ما سبق أنَّ ثَمَّة فرقاً – من حيث الاستعمال– بين (إنِ) النَّافية التي بمعنى (ما)، وهي ما تسمى بالابتدائية، أو العاملة عمل ليس، وبين (إنْ) المخفَّفة من الثَّقيلة المهملة، على الرغم من أنَّ بعض النحاة لم يُظهر الفرق بينهما، ولكن يمكن أن نخلص إلى فروق واضحة بينهما، فإنِ النَّافية الابتدائيَّة وُضعت في أصلها للنَّفي، وتدخل على الجملة الاسميَّة بمختلف أنواعها، وعلى الجملة الفعليَّة سواءٌ أكان فعلها تاماً أم ناقصاً، واجبة الاقتران بـ (إلاَّ)؛ لقصر الخبر على المبتدأ، نحو: ﴿ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴾، و ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾، ولا يجب ذلك إن لم يقصد من النفي قصر الخبر على المبتدأ، نحو ﴿ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍ ﴾[١١٠]، أو إن قُصد منها الإخبار نحو: ﴿ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴾[١١١]، و ﴿ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾[١١٢]، و ﴿ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴾[١١٣]. وقد ردَّ ابن هشام بهذا قول البعض: لا تأتي إنِ النَّافية إلاَّ وبعدها (إلاَّ)[١١٤]. وممَّا يرجح ردّه لقولهم ورودها غير مقترنة بإلاَّ في مواضع كثيرة من التَّنزيل الحكيم، نحو قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ

(١٠٧) سورة الملك، آية ٢٠.

(١٠٨) سورة يَس، آية ١٥.

(١٠٩) الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، ص ٥٠٩.

(١١٠) سورة يونس، آية ٦٨.

(١١١) سورة الجن، آية ٢٥.

(١١٢) سورة الأنبياء، آية ١١١.

(١١٣) سورة الأنبياء، آية ١٠٩.

(١١٤) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ص٣٤.

مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴾[١١٥] وقوله تعالى: ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾[١١٦] و ﴿ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ﴾[١١٧]، ومنه ﴿ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾[١١٨]، و ﴿ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾[١١٩]، وقوله تعالى: ﴿ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾[١٢٠]. وممَّا يُلاحظ على جميع هذه السياقات أنَّه لا يُراد فيها قصْر الخبر على المبتدأ؛ لذلك جاءت غير مقترنة بإلاَّ، وهذا يؤكد ما ذكرته من أنَّها واجبة الذِّكر كونُها في سياق قَصْر الخبر على المبتدأ، ولا تجب في غير ذلك.

كما أنَّ البصريين أكدوا أنَّ (إنِ) التي تأتي بمعنى (ما) لا تجئ معها اللام[١٢١]. أمَّا (إنِ) المخفَّفة من (إنَّ) المشددَّة، ففي أصلها مختصَّة بالجملة الاسميَّة، ولكن بتخفيفها خرجت عن اختصاصها، فدخلت على الجملة الفعليَّة، ويكون فعلها ناسخاً. فيكثر كونه مضارعاً، نحو ﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ ﴾[١٢٢]، و ﴿ وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾[١٢٣]، وأكثر منه كونُهُ ماضياً ناسخاً؛ نحو ﴿ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ

---

(١١٥) سورة إبراهيم، آية ٤٦.

(١١٦) سورة الفرقان، آية ٤٤.

(١١٧) سورة فاطر، آية ٤٦.

(١١٨) سورة يَس، آية ٣٢.

(١١٩) سورة الزخرف، آية ٣٥.

(١٢٠) سورة الطارق، آية ٤.

(١٢١) الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، ص٥٠٩.

(١٢٢) سورة القلم، آية ٥١.

(١٢٣) سورة الشعراء، آية ١٨٦.

هَدَى ٱللَّهُ ﴾[١٢٤]، و ﴿ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرۡدِينِ ﴾[١٢٥]، و ﴿ وَإِن وَجَدۡنَآ أَكۡثَرَهُمۡ لَفَٰسِقِينَ ﴾[١٢٦]، وندر كونه ماضياً غير ناسخ ؛ كقوله[١٢٧]

شُلت يمينك إن قتلت لمسلماً حلت عليك عقوبة المتعمِّدِ[١٢٨]

وتلزمها اللَّام الفارقة عند الإهمال، ولا تلزمها عند الإعمال ؛ لأنها عند الإهمال تلتبس بإنِ النَّافية الابتدائية. واختلف النحويُّون في هذه اللَّام، هل هي لام الابتداء أُدخلت للفرق بين (إنِ) النَّافية و (إنِ) المخفَّفة من الثَّقيلة، أم هي لام أخرى اجتلبت للفرق؟ وكلام سيبويه يدلُّ على أنَّها لام الابتداء دخلت للفرق[١٢٩]. ويمكن تخريج هذه اللَّام في قولنا : إنْ زيد لقائمٌ قبل أن تُخفَّف إنْ بقولنا : لإنْ زيداً قائمٌ، فخُففت (إنَّ) الثقيلة وأُهملت ثمَّ ارتفع الاسم على أصله وانتقلت لام التوكيد الابتدائية إلى الخبر للفرق. لذلك يرجح ما ذهب إليه البصريُّون من أنَّ (إنْ) في قوله تعالى: (وإن يكادُ الذين كفروا ليزلقونك) و (إن كادوا ليستفزونك) مخفَّفة من الثَّقيلة، واللام لام التَّوكيد، وليس كما ذهب إليه الكوفيُّون من أنَّها بمعنى (ما) واللام بمعنى (إلاَّ).

أمَّا على المستوى الاستعمالي في التَّنزيل الحكيم، فقد اقتصر ورودها — كما سبق ذكره— على الأفعال النَّاسخة التي تدخل على الجملة الاسميَّة، فترفع الاسم، وتنصب الخبر، وعلى الأفعال التي تنصب المبتدأ والخبر على أنهما مفعولان لها. فممَّا ورد مع

---

(١٢٤) سورة البقرة، آية ١٤٣.

(١٢٥) سورة الصافات، آية ٥٦..

(١٢٦) سورة الأعراف، آية ١٠٢.

(١٢٧) ضياء السالك على أوضح المسالك، ج١، ص٣٢٩.

(١٢٨) البيت لعاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل العدوية قالته في رثاء زوجها الزبير بن العوام (ينظر في نهاية الأرب في فنون الأدب، ج١٩، ص١٣٩) .

(١٢٩) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ج١، ص٣٨٠.

الأفعال التي ترفع اسمها وتنصب خبرها ما جاء مع صيغة المضارع كما مرَّ ذكره، ومنه ما جاء مع صيغة الماضي، وهو كثير فمنه – إضافة لما مرَّ ذكره مع صيغة الماضي – قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾[١٣٠]، وقوله ﴿وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ﴾[١٣١]، وقوله ﴿وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾[١٣٢]، وقوله تعالى ﴿وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ﴾[١٣٣]، وقوله ﴿وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ﴾[١٣٤]، ومنه قوله تعالى ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ﴾[١٣٥] وقوله ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾[١٣٦]، وقوله ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا﴾[١٣٧]، وقوله ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ﴾[١٣٨]، أمَّا ما جاء منها في التَّنزيل مع الأفعال التي تنصب المبتدأ والخبر مفعولين لها، فقد مرَّ ذكرها في موضعين: الأوَّل مع صيغة الماضي، وهو الفعل (وجد) في قوله تعالى: ﴿وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ﴾[١٣٩]، والثَّاني مع الفعل (ظنَّ) في قوله تعالى ﴿وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[١٤٠]. وممَّا يمكن قوله في جميع هذه السياقات إنَّه يصلح أن تُقدَّر (إنْ) المخفَّفة بإنَّ الثقيلة ويُقدَّر اسمها بضمير محذوف،

---

(١٣٠) سورة البقرة، آية ١٩٨.

(١٣١) سورة الأنعام، آية ١٥٦.

(١٣٢) سورة يوسف، آية ٩١.

(١٣٣) سورة الحجر، آية ٧٨..

(١٣٤) سورة الصافات، آية ١٦٧.

(١٣٥) سورة الإسراء، آية ٧٣.

(١٣٦) سورة الإسراء، آية ٧٦.

(١٣٧) سورة الفرقان، آية ٤٢.

(١٣٨) سورة القصص، آية ١٠.

(١٣٩) سورة الأعراف، آية ١٠٢.

(١٤٠) سورة الشعراء، آية ١٨٦.

ويكون خبرها الجملة المكوَّنة من الفعل النَّاسخ واسمه وخبره، وهذا ما يُرجح أنَّها خُفِّفت من الثَّقيلة، فحُذِف اسمها، وأهملت، ثمَّ جاء خبرها جملة فعلها ناسخ وخبره مؤكَّد بلام التَّوكيد. وليس (إنْ) بمعنى (ما) واللام بمعنى (إلاَّ) نحو ما ذهب إليه الكوفيُّون. وهذا يستقيم مع دلالة الآيات الكريمة، ففي قوله تعالى (وإن كنا لخاطئين)، فلو قُدِّرت (إنَّ) الثَّقيلة؛ أي استصحاب الأصل من إنِ المخفَّفة لكانت جملة الآية (إنَّنا كنَّا لخاطئين)، وهذا نصٌّ فيه إثبات وتوكيد، وتحصَّل التَّوكيد بحرفين؛ إنَّ واللام، فهو اعتراف من إخوة يوسف عليه السلام بأنَّهم كانوا خاطئين فيما فعلوه مع أخيهم، وإثبات الشيء بذكره وتوكيده أقوى من إثباته بالنَّفي فيمن قدَّر (إنْ) بمعنى (ما) واللام بمعنى (إلاَّ) وكذلك في باقي الآيات.

الفصل الثَّاني: إعمال إنِ النَّافية

المبحث الأوَّل: إنِ النَّافية بين الإعمال والإهمال.

اختلف النحويُّون في مسألة إعمال (إنِ) النَّافية وإهمالها، فكلٌّ ذهب برأيه محتجاً بما ورد من الشواهد في كلام العرب على إعمالها وإهمالها. فذهب أكثر البصريين، والفرّاء من الكوفيين إلى أنَّها لا تعمل شيئاً[١٤١]. فهي من الحروف التي لا تختصُّ فكان القياس أن لا تعمل، لذلك منع إعمالها الفرّاء وأكثر البصريَّة والمغاربة[١٤٢]. وجاء عند ابن يعيش أن "إنِ المكسورة الخفيفة قد تكون نافية ومجراها مجرى (ما) في نفي الحال وتدخل على الجملتين الفعليَّة والاسميَّة نحو قولك: إنْ زيدٌ لقائم، قال الله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ﴾[١٤٣]، وتقول في الفعل إنْ قام زيد؛ أي ما قام زيد، قال الله تعالى: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً

(١٤١) شرح ابن عقيل، ج١، ص٣١٧.

(١٤٢) همع الهوامع، شرح جمع الجوامع في علم العربية، ج١، ص١٢٤.

(١٤٣) سورة الملك، آية ٢٠.

وَٰحِدَةً ﴾[١٤٤]، وتقول: إن يقوم زيد، قال الله تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ﴾[١٤٥]، وقال تعالى: ﴿إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾[١٤٦]، وكان سيبويه لا يرى فيها إلاَّ رفع الخبر؛ لأنَّها حرف نفي دخل على الابتداء والخبر، والفعل والفاعل، كما تدخل همزة الاستفهام فلا تغيره"[١٤٧]. وأكَّد ابن هشام ذلك، فقال: وإذا دخلت على الجملة الاسميَّة لم تعمل[١٤٨]. ومِمَّا يتخرج على الإهمال الذي هو لغة الأكثرين قول بعضهم: (إنَّ قائمٌ)، وأصله: إنْ أنا قائمٌ، فحذفت همزة أنا اعتباطاً، وأدغمت نون (إنْ) في نونها، وحذفت ألفها في الوصل[١٤٩]، وسَمِع الكسائي أعرابياً يقول (إنَّا قائماً) على الإعمال فأنكرها عليه وظنَّ أنها المشدَّدة وقعت على قائم، قال فاستثبته، فاذا هو يريد إن أنا قائماً، فترك الهمزة وأدغم على حد ﴿ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى ﴾[١٥٠][١٥١]. وإعمالها نادر، وهو لغة أهل العالية[١٥٢]. أمَّا الذين قالوا بإعمالها، وهم الكوفيُّون، خلا الفرّاء، ومن البصريين أبو العبَّاس المبرد، وأبو بكر بن السراج، وأبو علي الفارسيّ، وأبو الفتح بن جني، واختاره ابن مالك، وبرغم أنَّ في كلام سيبويه — رحمه الله تعالى — إشارة إلى ذلك فيرون أنها تعمل عمل (ليس)[١٥٣]. ونقل السهيلي أنَّ سيبويه يجيز إعمالها، والمبرد لا يجيزه، ونقل النَّحاس عنهما عكس ما نقله

---

(١٤٤) سورة يَس، آية ٢٩.

(١٤٥) سورة يونس، آية ٦٦.

(١٤٦) سورة الكهف، آية ٥.

(١٤٧) شرح المفصل، ج٨، ص ١١٢، ١١٣.

(١٤٨) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ص ٣٥.

(١٤٩) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ص ٣٥، ٣٦.

(١٥٠) سورة الكهف، آية ٣٨.

(١٥١) همع الهوامع، شرح جمع الجوامع في علم العربية، ج١، ص ١٢٤، ١٢٥.

(١٥٢) ضياء السالك إلى أوضح المسالك، ج١، ص ٢٦٦.

(١٥٣) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ج١، ص ٣١٧.

السهيلي[١٥٤]. وأجاز الكسائي إعمالها عمل (ليس)، وقرأ سعيد بن جبير[١٥٥] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡ ﴾[١٥٦] وسُمِع من أهل العالية "إن أحدٌ خيراً من أحد إلاَّ بالعافية "و" إنْ ذلك نافعَك ولا ضارَك"[١٥٧]. وجاء في شرح الكافية "أنَّ لـ (إن) النَّافية اسماً اسماً مرفوعاً وخبراً منصوباً إلحاقاً بـ (ما)، وقد أوْمأ إليه سيبويه من دون تصريح بقوله في "باب عِدة ما يكون عليه الكلم" وتكون (إنْ) كـ (ما) في معنى ليس، فلو أراد النَّفي دون العمل لقال: وتكون (إنْ) كـ (ما) في النَّفي؛ لأنَّ النَّفي من معاني الحروف فـ (ما) به أولى من (ليس)؛ لأنَّ ليس فعل، وهي حرف"[١٥٨]. وهناك من رأى ما أنشده الكسائي من قول الشاعر – وقد سبقت الإشارة إليه –:

إنْ هو مستولياً على أحد إلاَّ على أضعف المجانين

أن ذلك يقوي إعمال (إنْ) إذا نُفي بها[١٥٩].

نتبين ممَّا سبق أن جمهوراً من النُّحاة ذهبوا إلى إهمال إنِ النَّافية، فتدخل على المبتدأ والخبر ويبقى كلٌّ منهما مرفوعاً، فلم تعمل فيهما؛ أي أنها مهملة، وممَّا يؤخذ على ذلك أنَّ معظم هذه الآراء لم يُذكر لها من الاستشهاد على إهمالها، لا من كلام العرب، ولا

---

(١٥٤) شرح شذور الذهب، الحاشية، ص ١٩٩.

(١٥٥) ينبغي في هذه القراءَة أن تكون (إن) هذه بمنزلة (ما)، فكأنه قال: ما الذين تدعون من دون الله عباداً أمثالكم، فأعمل (إن) إعمال (ما)، وفيه ضعف؛ لأن إن هذه لم تختص بنفي الحاضر اختصاص (ما) به فتجري مجرى ليس في العمل. (انظر المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ابن جني، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ج١، ١٩٩٩، ص٢٧٠).

(١٥٦) سورة الأعراف، آية ١٩٣.

(١٥٧) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ص ٣٥، ٣٦.

(١٥٨) شرح الكافية الشافية، جمال الدين الطائي، تح: عبدالمنعم أحمد هريري، الطبعة: الأولى، دار المأمون للتراث، ١٩٨٢، ج١، ص ٤٤٦.

(١٥٩) شرح الكافية الشافية، ج١، ص ٤٤٧.

من كتاب الله الحكيم، على الرغم من كثرة ما ورد في كتاب الله تعالى من آيات أهملت فيها (إنِ) النَّافية، فجاء المبتدأ وخبره مرفوعين فمن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾[١٦٠]، و﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِي مَن تَشَآءُ﴾[١٦١]، و﴿إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[١٦٢]، و﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾[١٦٣]، و﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[١٦٤]، و﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾[١٦٥]، و﴿إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾[١٦٦]، و﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ﴾[١٦٧]، و﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾[١٦٨]، و﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾[١٦٩]، و﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم﴾[١٧٠]، و﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾[١٧١]، و﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾[١٧٢]، و﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾[١٧٣]، و﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[١٧٤]، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ﴾[١٧٥]، و﴿إِنْ هِيَ

---

(١٦٠) سورة الأنعام، آية ٢٩.
(١٦١) سورة الأعراف، آية ١٥٥.
(١٦٢) سورة الأعراف، آية ١٨٨.
(١٦٣) سورة هود، آية ٥٠.
(١٦٤) سورة يوسف، آية ١٠٤، التكوير، آية ٢٧.
(١٦٥) سورة إبراهيم، آية ١٠.
(١٦٦) سورة إبراهيم، آية ١١.
(١٦٧) سورة المؤمنون، آية ٢٥.
(١٦٨) سورة المؤمنون، آية ٣٨.
(١٦٩) سورة الروم، آية ٥٨.
(١٧٠) سورة سبأ، آية ٤٦.
(١٧١) سورة فاطر، آية ٢٣.
(١٧٢) سورة يَس، آية ٦٩.
(١٧٣) سورة الزخرف، آية ٥٩.
(١٧٤) سورة النجم، آية ٤.
(١٧٥) سورة الدخان، آية ٣٥.

﴿إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم﴾[١٧٦]، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾[١٧٧]، و﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾[١٧٨]، و﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ﴾[١٧٩]، و﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ﴾[١٨٠]، و﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾[١٨١]، و﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٞ﴾[١٨٢]، و﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ﴾[١٨٣]، و﴿إِنۡ أَوۡلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُتَّقُونَ﴾[١٨٤]، كلُّ هذا يدعو إلى ترجيح إهمالها، وممَّا يُقوِّي هذا الترجيح أنَّنا لا نجد عند مَنْ قال بإعمالها من الشواهد بهذه الكثرة التي وردت في إهمالها، وإنَّ كلَّ ما أوردوه من شواهد انحصرت في ثلاثة شواهد من كلام العرب؛ شاهدان ممّا سُمي بلغة أهل العالية، وشاهد من الشعر.

وهي شواهد قليلة جداً بالمقارنة مع ما جاء في التَّنزيل الكريم على إهمالها، والبِضْع لا يُغلَّب على الكثرة.

المبحث الثَّاني: (إنِ) المخفَّفة من الثَّقيلة بين الإعمال والإهمال.

ثمَّة خلاف بين النُّحاة في مسألة إهمال إنِ المخفَّفة من الثَّقيلة وإعمالها، فمنهم من قال بإهمالها، ومنهم من رأى خلاف ذلك، فأبقاها على إعمالها قبل التَّخفيف. فذهب ابن هشام - رحمه الله - إلى إهمالها، فذكر أنَّه إذا خُفِّفت فالأكثر في لسان

---

(١٧٦) سورة النجم، آية ٢٣..

(١٧٧) سورة المائدة، آية١١٠، الأنعام، ٧، هود، ٧، سبأ، ٤٣، الصافات، ١٥.

(١٧٨) سورة الأنعام، آية ٢٥، الأنفال، ٣١، المؤمنون ٨٣، النمل، آية ٦٨.

(١٧٩) سورة يوسف، آية ٣١.

(١٨٠) سورة الفرقان، آية ٤.

(١٨١) سورة الشعراء، آية ١٣٧.

(١٨٢) سورة صَ، آية ٧.

(١٨٣) سورة المدثر، آية ٢٥.

(١٨٤) سورة الأنفال، آية ٣٤.

العرب إهمالها ؛ فتقول (إن زيدٌ لقائم)، ويقلُّ إعمالها فتقول: (إن زيداً قائمٌ)[١٨٥]، ويكون إهمالها لزوال اختصاصها ؛ نحو: ﴿ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾[١٨٦] [١٨٧]، عندئذٍ تصلح للدخول على الجملة الفعليَّة بعد أن كانت مختصَّة بالاسميَّة[١٨٨].

وذهب الكوفيُّون إلى أنَّها لا تُعمل النصب في الاسم، واحتجُّوا بأن قالوا: إنَّما قلنا إنَّها لا تعمل ؛ لأنَّ (إنّ) المشددة إنما عملت ؛ لأنها أُشبهت الفعل الماضي في اللفظ ؛ لأنَّها على ثلاثة أحرف، كما أنَّه على ثلاثة أحرف ؛ ولأنَّها مبنيَّة على الفتح، كما أنَّه مبنيٌّ على الفتح، فاذا خُفِّفت فقد زال شبهها به، فوجب أن يبطل عملها[١٨٩]. ومنهم من تمسك بأن قال: إنَّما قلنا ذلك ؛ لأنَّ (إنَّ) المشدَّدة من عوامل الأسماء، و(إنْ) المخفَّفة من عوامل الأفعال فينبغي ألاَّ تعمل المخفَّفة في الأسماء كما لا تعمل المشدَّدة في الأفعال ؛ لأنَّ عوامل الأفعال لا تعمل في الأسماء وعوامل الأسماء لا تعمل في الأفعال[١٩٠]. فالمشدَّدة إذا خُفِّفت يقلُّ إعمالها، فقولك – مثلاً – (إنْ زيدٌ لقائمٌ) أفصح من قولك: (إن زيداً قائم) يعني إهمالها أجْوَد، وأوجبه بعضهم ؛ أي: أوجبوا أنَّ (إنَّ) إذا خُفِّفت يجب إهمالها، ووجه الإهمال: أنَّها إذا خُفِّفت زال اختصاصها بالأسماء، فأهملت ؛ كما تُهمل إذا اتصلت بها (ما) الزائدة ؛ لأنَّها تُزيل اختصاصها بالأسماء[١٩١]. فتلزمها اللَّام في ثاني الجزأين بعدها فرقاً بينها وبين إنِ النَّافية

---

(١٨٥) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ج١، ٣٧٨.

(١٨٦) سورة يَس، آية ٣٢.

(١٨٧) ضياء السالك إلى أوضح المسالك، ج١، ص ٣٢٦، ٣٢٧.

(١٨٨) النحو الوافي، ص ٦٧٣.

(١٨٩) الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، ص ١٦٤.

(١٩٠)) المرجع السابق نفسه، ص ١٦٤.

(١٩١) شرح ألفية ابن مالك، الزامل، ج١، ٤٧٧.

لالتباسها بها حينئذٍ، نحو (إنْ زيدٌ لقائمٌ) ومن ثَمَّ لا تلزم مع الإعمال لعدم الإلباس ولا تدخل في موضع لا يصلح للنَّفي كقوله:

أنا ابن أُباة الضَّيم من آل مالك وإنْ مالكٌ كانت كرامَ المعادن

فالبيت للمدح، ولو كانت إنْ نافية لكان هجاءً[١٩٢].

وأمَّا من قال بخلاف ذلك فقد أجاز إعمالها استصحاباً للأصل[١٩٣]، ومن إعمالها مخفَّفة قراءَة بعض السبعة: ﴿ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ ﴾[١٩٤] بتخفيف (إنَّ)و(لَّما) واسْتدلَّ البصريُّون بهذه الآية الكريمة على صحَّة إعمالها في قراءَة من قرأ بالتَّخفيف، وهي قراءَة نافع وابن كثير، وروى أبو بكر عن عاصم بتخفيف (إن) وتشديد (لَّما)، قالوا: ولا يجوز أن يقال بأنَّ "كلا" منصوب بـ (ليوفينَّهم)، فلا يجوز ذلك؛ لأن لام القسم تمنع ما بعدها أن يعمل فيما قبلها؛ ألا ترى انَّه لا يجوز أن تقول: "زيداً لأكرمنَّ، وعمراً لأضربنَّ" فتنصب زيداً بـ (لأكرمنَّ) وعمراً بـ (لأضربنَّ)، فكذلك ها هنا: لا يجوز أن يكون " كلا " منصوباً بـ (ليوفِّينَّهم) [١٩٥]. وحكى الإعمالَ سيبويه والأخفش - رحمهما الله -، فلا نلزمها حينئذٍ اللَّام؛ لئلا تلتبس بالنَّافية إذا أُهملت، ولم يظهر المقصود بها فقد يستغنى عن اللام[١٩٦]. وعملها على قلَّة، وحالها إذا أُعملت كحالها وهي مشدَّدة إلاَّ أنَّها لا تعمل في الضَّمير إلاَّ في ضرورة بخلاف

(١٩٢) همع الهوامع، شرح جمع الجوامع في علم العربية، ج١، ص ١٤١.

(١٩٣) ضياء السالك إلى أوضح المسالك، ج١، ص ٣٢٦، ٣٢٧.

(١٩٤) سورة هود، آية ١١١.

(١٩٥) شرح شذور الذهب، ص ٢٨١، ٢٨٢.

(١٩٦) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ج١، ص ٣٧٨، ٣٧٩.

المشدَّدة، فتقول: إنَّك قائم بالتَّشديد، ولا يجوز إنْك قائمٌ بالتَّخفيف، وأمَّا في دخول اللام وغير ذلك من الأحكام فهي كالمشدَّدة سواءٌ[١٩٧].

وهذا التَّخفيف لا يقتصر على (إنَّ) فحسب، بل يجوز في إنَّ، وأنَّ، ولكنَّ، وكأنّ، أنْ تخفف؛ استثقالاً للتضعيف فيما كثر استعماله، وتخفيفها بحذْف نونها المحرَّكة؛ لأنَّها آخر، ثمَّ إن كان الحرف المخفَّف (إنَّ) المكسورة جاز الإهمال والإعمال، والأكثر الإهمال، نحو ﴿ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾[١٩٨]، فيمن خفَّف ميم (لَّما)، وأمَّا من شدَّدها فإنْ نافية، ولَّما بمعنى إلاَّ[١٩٩].

باستعراض هذه الآراء للنُّحاة يظهر لنا أنَّ وجه إهمال (إنِ) المخفَّفة من الثَّقيلة أو إعمالها يكاد ينحصر في مسألة اختصاصها بنوع الجملة الدَّاخلة عليها، فخروجها من سياق الجملة الاسميَّة إلى سياق الجملة الفعليَّة يُفقِدها تسلُّطها على الاسم؛ كما تُفقِد (ما) الزائدة تسلُّط (إنَّ) المشدَّدة على الاسم فلا تعمل فيه. وهي بهذا يمكن القول إنَّها تُشابه (إنِ) النَّافية في دخولها على الجملتين الاسميَّة والفعليَّة، كما سبق في غير هذا الموضع من البحث، ولم تعمل في الجملة الاسميَّة كما مرَّ ذِكره.

ولكن لم يستدل هؤلاء النُّحاة على هذا الإهمال بشواهد كافية تثبت هذا الحكم، سوى ما اسْتدلُّوا به من نحو قوله تعالى: ﴿ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾[٢٠٠] على قراءَة من خفَّف (لَّما)، وهو استدلال انحصر في هذه القراءَة، أمَّا على قراءَة تشديد (لَّما) فإنْ نافية وليست مخفَّفة من إنَّ المشدَّدة، و (لَّما) بمعنى (إلاَّ)[٢٠١]. فتكون من باب قوله تعالى: ﴿ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا

(١٩٧) همع الهوامع، شرح جمع الجوامع في علم العربية، ج١، ص ١٤١.

(١٩٨) سورة الطارق، آية ٤.

(١٩٩) شرح شذور الذهب، ص ٢٨١، ٢٨٢.

(٢٠٠) سورة الطارق، آية ٤.

(٢٠١) شرح شذور الذهب، ص ٢٨١، ٢٨٢.

فِي غُرُورٍ ﴾[٢٠٢]، عندئذٍ لا يصلح الاستشهاد بهذه الآية الكريمة على إهمال (إنِ) المخفَّفة. لذلك من رأى فيها استصحاباً للأصل أبقاها على عملها قبل التَّخفيف، واستدلَّ البصريُّون على ذلك بقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ ﴾[٢٠٣]، فـ (كلاًّ) لا يجوز أن يُقال إنَّها منصوبة بالفعل (ليوفِّينَّهم)، ألا ترى أنه لا يجوز أن تقول: (زيداً لأكرمنَّ وعمراً لأضربنَّ) فتنصب زيداً بـ (لأكرمنَّ) وعمراً بـ (لأضربنَّ) فكذلك ها هنا لا يجوز أن يكون منصوباً بـ (ليوفِّينَّهم)[٢٠٤]، وقد سبقت الإشارة إلى هذا الكلام.

أمَّا في ضوء ما ورد في التَّنزيل الحكيم من سياقات وردت فيها إنِ المخفَّفة من الثَّقيلة والمهملة، فإنَّنا لا نستطيع أن نقول بإعمالها أو إهمالها، سواءٌ أخذنا بقول من رأى أنَّ (إنْ) بمعنى (ما) واللام بمعنى (إلاَّ)، أو أخذنا بقول من رأى أنها خُففت من الثقيلة، فدخلت على الجملة الفعلية، فلزمتها لام الابتداء الفارقة؛ وذلك لعدم ظهور ذلك في سياقات الآيات الكريمة، فقد دخلت (إنْ) كما وضحنا في موضع سابق من هذا البحث على جملة فعليَّة فعلها ناسخ والخبر في تلك الجملة يكون خبراً للفعل الناسخ. نحو ما جاء في قوله تعالى: (وإن كانت لكبيرة)، فكبيرة خبر منصوب للفعل الناسخ (كان)، وفي قوله (وإن كنتم من قبله لمن الضالين)، فالخبر في الجملة هو شبه الجملة (من الضالين)، وهو خبر للفعل الناسخ (كان) في (كنت)، وفي قوله تعالى (وإن كنا عن دراستهم لغافلين)، فالخبر في الجملة (غافلين)، وهو خبر منصوب للفعل الناسخ (كان) في (كنَّا)، وكذلك يُقال في جميع الآيات، إذْ لا يظهر إعمالها في ذلك.

---

(٢٠٢) سورة الملك، آية ٢٠.

(٢٠٣) سورة هود، آية ١١١.

(٢٠٤) الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، ص ١٦٥.

الفصل الثالث: دلالة إنِ النَّافية

الكلام في دلالة إنِ النَّافية في مستويين؛ المستوى النَّحوي، والمستوى الدِّلالي وكلاهما لا ينفصل عن الآخر.

ففي المستوى النَّحوي، فإنَّها بمعنى (ما)، كما جاءت عند سيبويه، قال الله عز وجل ﴿ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴾[٢٠٥]؛ أي ما الكافرون إلاَّ في غرور، وتصرف الكلام إلى الابتداء، كما صرفتها (ما) إلى الابتداء في قولك: إنما، وذلك قولك: ما إنْ زيد لذاهبٌ، وقال فروة بن مسيك[٢٠٦]

وما إنْ طبُّنا جبْنٌ ولكن منايانا ودولةٌ آخرينا[٢٠٧]

وهي لنفي معنى الخبر في الزمن الحالي عند الإطلاق[٢٠٨]، ويكون هذا النفي على حسب الإيجاب؛ لأنَّه إكذاب له فينبغي أن يكون على وفق لفظه لا فرق بينهما إلاَّ أنَّ أحدهما نفي والآخر إيجاب[٢٠٩]، وتكون للمجازاة، وتكون أن يُبتدأ ما بعدها في معنى اليمين، وفي اليمين، قال الله عز وجل: ﴿ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾[٢١٠]، و﴿ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾[٢١١][٢١٢]. فهي عند النُّحاة لا تزيد عن كونها تقوم مقام (ما) في النَّفي، ويُفهم من كلامهم في كثير من المواضع أنَّها لا تختلف عنها في النَّفي. وعلى حدِّ هذا الكلام، فإنَّ

---

(٢٠٥) سورة الملك، آية ٢٠.

(٢٠٦) كتاب سيبويه، ج٣، ص ١٥٢، ١٥٣.

(٢٠٧) البيت لفروة بن مسيك المراديّ (ينظر في خِزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ج٤، ص١١٥) .

(٢٠٨) النحو الوافي، ص ٦٠٤.

(٢٠٩) شرح المفصل، ج٨، ص ١٠٧.

(٢١٠) سورة الطارق، آية ٤.

(٢١١) سورة يَس، آية ٣٢.

(٢١٢) كتاب سيبويه، ج٣، ص ١٥٢.

السياق الذي يتحصَّل فيه النفي بـ (إنْ) يصلح أن تقوم فيه (ما) مقامها، كما قامت (إنْ) مقام (ما)، فلا اختلاف بينهما. وأمَّا في المستوى الدِّلالي، فإذا أنعمنا النَّظر فيما ذكره شيخ البلاغين الجرجاني -رحمه الله - في باب التَّقديم والتَّأخير، ففي مسائل في النَّفي يقول: "إذا قلت (ما فعلتُ) كنت نفيت عنك فعلاً يثبت أنَّه مفعول؛ تفسير ذلك: أنَّك إذا قلت: (ما قلتُ هذا)، كنت نفيت أن تكون قد قلت ذاك، وكنت نُوظرت في شيء لم يثبت أنَّه مقولٌ، وإذا ما قلت: (ما أنا قلتُ هذا) كنت نفيت أن تكون القائل له، وكانت المناظرة في شيء ثبت أنَّه مقولٌ وكذلك إذا قلت: (ما ضربتُ زيداً) كنت نفيت عنك ضربَه، ولم يجب أن يكون قد ضُرِب؛ بل يجوز أن يكون ضَرَبَه غيرُك، وأن لا يكون قد ضُرِب أصلاً، وإذا قلت: (ما أنا ضربت زيداً) لم تقله إلاَّ وزيدٌ مضروبٌ، وكان القصد أن تنفي أن تكون أنت الضَّاربُ، ومن أجل ذلك صَلُح في الوجه الأوَّل أن يكون المنفِيُّ عامّاً كقولك: (ما قلتُ شعراً قط)، و(ما أكلت اليوم شيئاً)، و(ما رأيت أحداً من النَّاس)"(٢١٣).

وفي ذلك -أيضاً - يقول: "اعلم أنَّك إذا قلت: (ما جاءَني إلاَّ زيدٌ) احتمل أمرين؛ أحدهما أن تريد اختصاص زيد بالمجيء، وأن تنفيه عمن عَداه، وأن يكون تقوله؛ لا لأنَّ بالمخاطب حاجة إلى أن يعلم أنَّ (زيداً) قد جاءَك، ولكن لأنَّ به حاجة إلى أن يعلم أنَّه لم يجىء إليك غيره"(٢١٤). المقصد ممَّا أوردته من كلام الجرجاني -رحمه الله - أنَّنا نلمح في كلامه أنَّ أُسلوب النَّفي مع (ما) مُنحصِر ومُقتصَر على ما جاء بعدها، فهو مُوجَّه إلى نفي العلاقة بين المسندين بعدها، من غير أن يكون في ذلك النَّفي عَوْدٌ على ما قبل (ما) من تأكيد أو إثبات، فالغاية من ذلك تحقيق النَّفي لما بعدها، مهما اختلفت طريقة الإسناد من تقديم أو تأخير.

---

(٢١٣) دلائل الإعجاز، عبدالقاهر الجرجاني، قرأه: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي،القاهرة ١٩٨٤، ص ١٢٤.

(٢١٤) دلائل الإعجاز، ص ٣٣٦.

ينجلي هذا الكلام في سياق النَّفي بـ (ما) في التَّنزيل الحكيم، ففي قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾[٢١٥]، لقد بيَّن سبحانه وتعالى وظيفة الرُّسل، وأنَّه لم يُرسِل رسولاً من الرُّسل إلَّا لِيُطاع بأمر الله تعالى، فطاعتُهُ طاعةٌ لله ومعصيتُهُ معصيةٌ لله، فجاء هذا البيان بصيغة النَّفي بـ (ما)، وكما نرى في نصِّ الآية الكريمة، فإنَّ هذا النفي لم يرجع على ما جاء قبله بإثبات أو تأكيد، فليس فيه إثبات لما جاء من أنَّ المنافقين يكذبون، وأنَّ الله يعلم ما في قلوبهم من نفاق ومكر وخديعة، وأنَّه يطلب من الرَّسول أن يزجرهم عن الكيد والنِّفاق. فهو نفي غايته أن ينفي ما بعد (ما) من الكلام.

ومن ذلك -أيضاً- قوله تعالى: ﴿ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدۡ كُنتُمۡ تَمَنَّوۡنَ ٱلۡمَوۡتَ مِن قَبۡلِ أَن تَلۡقَوۡهُ فَقَدۡ رَأَيۡتُمُوهُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾[٢١٦]، حيث أبان الله تعالى أنَّ محمداً ليس إلاَّ رسول مضت قبله رسل، والرُّسل منهم من مات ومنهم من قُتل، وجاءَت هذه الإبانة الربَّانيَّة بصيغة النَّفي بـ (ما)، وإذا ما حاولنا ربطها بما قبلها من الآيات، نجد أنَّها لا تفيد أيَّ إثبات وتأكيد لمضمون تلك الآيات السابقة لها، وهو ما وُجِّه من خطاب لمعشر المؤمنين بأنَّهم لن ينالوا الجنة بدون ابتلاء وتمحيص، وأنَّ الله يعلم جهادهم وصبرهم على الشَّدائد وأنَّهم كانوا يتمنون لقاء الأعداء ليحظوا بالشهادة، فهو نفي متعلق بما بعد (ما).

---

(٢١٥) سورة النساء، الآيتان، ٦٣، ٦٤.

(٢١٦) سورة آل عمران، الآيات ١٤٢ – ١٤٤.

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ ﴾[٢١٧]، فقد بيَّن الله تعالى ما جاء على ألسنة الكفَّار من نفي أيَّة صفة أخرى غير البشريَّة عن الرَّسول صلَّى الله عليه وسلَّم وإثبات صفة البشريَّة له، بقوله (ما هذا إلاَّ بشر مثلكم)، وهذا النَّفي -كما نرى - لا يُثبت أو يُؤكِّد مضمون ما تقدَّم عليه من آيات؛ وهو ما أكَّده سبحانه وتعالى من أنَّه أرسل نوحاً إلى قومه، وما دعاهم إليه من عبادة الله وحده، فليس لهم ربٌّ سواه.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى ﴾[٢١٨] جاء -أيضاً - سياق النَّفي في هذه الآيات الكريمه بـ (ما)، ومقصده بيان ما قاله الكفار من أنَّ الذي جاء به موسى عليه السلام ما هو إلا سحر مكذوب مُختلق، وهذا النَّفي ليس فيه إثبات أو تأكيد لما سبقه من آيات تحدثت عن قَتْل موسى عليه السَّلام لرجل من آل فرعون، وطلبه عليه السَّلام من الله سبحانه وتعالى أنْ يُرسل معه أخاه هارون، وأنَّ الله تعالى جعل لموسى عليه السَّلام الغلبة على فرعون وقومه.

ومثل هذا الكلام كثير من التَّنزيل الحكيم، ولا يمكن لهذا البحث أن يأتي عليه كلِّه، ولعلَّ ما ذكرته يمثل تلك الصورة ويُوضِّحها.

---

(٢١٧) سورة المؤمنون، الآيتان ٢٣، ٢٤.

(٢١٨) سورة القصص، الآيات ٣٣ – ٣٦..

وأمَّا في سياق النَّفي مع (إنْ)، فإنَّنا نجد خلاف ذلك، وقد أشار الجرجاني -رحمه الله - إلى ذلك الأمر في باب الفصل والوصل. فقال: وممَّا فيه الإثبات (بإنْ وإلاَّ) قوله عز وجلَّ: ﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴾[٢١٩]، أفلا ترى أنَّ الإثبات في الآية الكريمة تأكيد وتثبيت لنفي ما نُفي، فإثباتُ ما عُلِّمه النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم، ووحيه إليه ذكراً وقرآناً، هو تأكيد وتثبيت لنفي أن يكون قد عُلِّم الشِّعر، وفي قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾[٢٢٠] إثبات ما يتلوه عليهم وحياً من الله تعالى، هو تأكيد وتقرير لنفي أن يكون نطق به عن هوىً[٢٢١]. وجاء عنده -أيضاً - في باب القصر والاختصاص أنَّه في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ۝٢٢ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴾[٢٢٢] إنَّما جاء - والله أعلم -، بالنَّفي والإثبات؛ لأنَّه لَّما قال تعالى: (وما أنت بمسمع من في القبور)، وكان المعنى في ذلك أن يُقال للنَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم: إنَّك لن تستطيع أن تُحوِّل قلوبهم عمَّا هي عليه من الإباء، ولا تملك أن توقع الإيمان في نفوسهم، مع إصرارهم على كفرهم، واستمرارهم على جهلهم، وصدِّهم بأسمَاعهم عمَّا تقوله لهم، وتتلوه عليهم، كان اللائق بهذا أن يُجعل حالُ النَّبي صلَّى الله عليه وسلَّم حال مَنْ قد ظنَّ أنَّه يملك ذلك، ومَنْ لا يعلم يقينا أنَّه ليس في وسعه شيء أكثر من أن يُنذر ويحذِّر، فأُخرج اللَّفظ مخرجه إذا كان الخطاب مع من يشكُّ، فقيل: (إن أنت إلاَّ نذير)[٢٢٣]. ومثل هذا في أنَّ الذي تقدَّم من الكلام اقتضى أن يكون اللَّفظ كالذي تراه، من كونه بـ (إن) و (إلاَّ)،

---

(٢١٩) سورة يَس، آية ٦٩.

(٢٢٠) سورة النجم، الآيتان ٣، ٤.

(٢٢١) دلائل الإعجاز، ص ٢٣٠، ٢٣١.

(٢٢٢) سورة فاطر، الآيتان ٢٢، ٢٣.

(٢٢٣) دلائل الإعجاز، ص ٣٣٤.

قوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾[٢٢٤][٢٢٥].

وفي موضع استشهاد آخر، نجد في قوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ٦٠ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا ٦١ فَكَيۡفَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّآ إِحۡسَٰنٗا وَتَوۡفِيقًا ﴾[٢٢٦]، أنَّ النَّفي بـ (إنْ) لم يُقصد منه نفي ما بعدها؛ من أنَّهم ما أرادوا غير الحسنى والتوفيق فحسب، بل هو نفي لذلك، وإثبات وتأكيد لما قبل (إنْ)؛ من أنَّهم أقروا واعترفوا بتحاكمهم إلى الطَّاغوت وأنَّه إذا قِيل لهم تعالَوا فتحاكموا إلى كتاب الله وإلى الرَّسول أعرضوا عن الرَّسول صلَّى الله عليه وسلَّم، وصدُّوا عنه صُدوداً، ثمَّ جاؤوا يحلفون أنَّهم ما أرادوا من ذلك إلَّا الصلح والتأليف بين الخصمين؛ يعني أنَّهم في أوَّل الأمر يصدُّون عنك أشدَّ الصُّدود، ثمَّ بعد ذلك يجيئونك ويحلفون بالله كذباً على أنَّهم ما أرادوا بذلك الصدِّ إلَّا الإحسان والتَّوفيق، وعلى هذا التقدير يكون النَّظم متصلاً[٢٢٧]. ألاَ ترى أنَّ في قولهم(إن أردنا) إثبات وتأكيد لكلِّ ما فعلته أيديهم؛ بمعنى أنَّ صيغة النَّفي هذه، هي نفي لما بعدها، وتأكيد وإثبات لما قبلها.

---

(٢٢٤) سورة الأعراف، آية ١٨٨.

(٢٢٥) دلائل الإعجاز، ص ٣٣٤.

(٢٢٦) سورة النساء، الآيات ٦٠ – ٦٢.

(٢٢٧) تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، الرازي، مجلد ٥، ج١٠، ص ١٦١.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَآ ۙ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[٢٢٨]، فقولهم إن هذا إلاَّ أساطير الأولين ما هو إلاَّ تأكيد وإثبات واعتراف منهم بأنَّهم قد سمعوا ما تُلي عليهم من القرآن الكريم، فأنكروه واتَّهموه بالأكاذيب والأباطيل. ومن ذلك -أيضا - قوله تعالى: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ ﴾[٢٢٩]، إذ يُظهر النَّفيُّ بإنْ ما تضمَّنه من إثبات وتأكيد مِنْ أنَّ جميع الكائنات تسبح لله وتُنزِّهه وتُقدِّسُهُ الأرض والسموات، ومن فيهنَّ من المخلوقات، وأنَّ ما مِنْ شيء في هذا الوجود إلاَّ ناطق بعظمة الله. ولو تتبعنا جميع سياقات النَّفي بـ (إنْ) في التَّنزيل الحكيم لاستقرأنا العلاقة بينها وبين ما قبلها من تأكيد وإثبات من جهة، والعلاقة بينها وبين ما بعدها من نفي من جهة أُخرى، الأمر الذي لم نجده في سياقات النفي مع (ما). ممَّا يشجع على القول إنَّ سياقات النفي بـ (إنْ) لا تصلح أن تقوم مقامها (ما)؛ فهي لا تؤدِّي الدِّلالة المقصودة، ولا تؤدِّي البيان الكامن في النَّصِّ القرآنيّ؛ فهذه هي بلاغته التي قد لا تتأتَّى إلاَّ بحرف من دون غيره. والله أعلم.

الخاتمة

أُلخِّص النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث بما يلي:

١ - حصْرُ جميع سياقات إنِ النَّافية في القرآن الكريم، حيث وصل عددها -على وجه التقريب لا التحديد - إلى مائة وعشر آيات، وفي حدود علمي ما تركت شيئاً إلاَّ ماكان من باب السَّهو أو النسيان، ثمَّ تقسيمها وتصنيفها بناءً على أنواع الجمل

(٢٢٨) سورة الأنفال، آية ٣١.

(٢٢٩) سورة الإسراء، آية ٤٤.

الدَّاخلة عليها، من حيث كونُها اسميَّة أو فعليَّة، وتصنيف ما وردت فيه في كلٍّ من هذين النَّوعين، بناءً على نوع ما بدأت به الجملة، فظهر أنَّها تدخل على الجملتين مطلقاً.

٢ - مِنَ النحويين من اشترط اقتران إن النافية بـ (إلاَّ)، ومنهم من ردَّ ذلك، وما حُصِر من شواهد، فقد أظهر أنَّه ليس شرطاً أنْ تقترن بالاَّ.

٣ - يرد في المؤلفات النَّحويَّة مصطلح (إنِ) المكسورة الخفيفة، و(إن) المخفَّفة، وقد يخلِط كثير من الدارسين بينهما، فأظهر البحث أنَّ إنِ المكسورة الخفيفة، يقصد بها (إن) النافية، أمَّا إن المخفَّفة فيقصد بها إن المخفَّفة من إنَّ الثَّقيلة، التي تلزمها لام الابتداء، أو اللام الفارقة.

٤ - (إنِ) النَّافية هي التي وضعت في أصلها للنَّفي، أمَّا إنِ المخفَّفة من الثَّقيلة فلا تستعمل للنفي.

٥ - على الأغلب تُستعمل (ما) لنفي الفعل اللَّازم والمتعدِّي، أمَّا (إنْ) فتستعمل لنفي الفعل المتعدِّي، كما ظهر في شواهد البحث؛ بمعنى أنَّها تكون لحصْر الفعل بمفعوله؛ أي لنفي وقوع الفعل على أيِّ شيء آخر غير مفعوله.

٦ - بالاعتماد على ما جُمِع من شواهد، فإنَّه يترجح إهمال إنِ النَّافية؛ لكثرة تلك الشواهد، ولندرة ما استُشهد به على الإعمال.

٧ - شواهد إنِ المخفَّفة المهملة، لا تُظهِر مسألة إعمالها أو إهمالها؛ لعدم ظهور اسمها في جميع الشواهد، ولكون خبرها جملة، فلا تظهر علامة الإعراب عليها.

٨ - على الرغم من أنَّ النَّحويين نزَّلوا (إنْ) منزلة (ما) في النَّفي، إلاَّ أنَّ سياقاتها في القرآن الكريم تُظهر غير ذلك؛ إذ إنَّ الدِّلالة التي تتأتَّى مع النَّفي بإنْ، لا نجدها ولا نتبيَّنها مع النَّفيِّ بـ (ما).

المراجع

[١] الإقليد شرح المفصل، لتاج الدين أحمد بن محمود الجندي، تح: محمود أحمد الدراويش، ط: الأولى، المجلد: الرابع، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، ٢٠٠٢ م.

[٢] ألفية ابن مالك، محمد بن عبدالله بن مالك الطائي، دار التعاون.

[٣] أمالي ابن الشجري، ابن الشجري. تح: محمود محمد الطناحي، ط: الأولى، ج٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩١م.

[٤] الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، لأبي البركات الأنباري، تح: جودة مبروك، راجعه: رمضان عبدالتواب، ط: الأولى، مكتبة الخانجي القاهرة، ٢٠٠٢ م.

[٥] التَّبصرة والتَّذكرة، لأبي محمد الصيمري، تح: فتحي أحمد علي الدين، ط: الأولى، دار الفكر، دمشق ١٩٨٢ م.

[٦] تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، للإمام محمد الرازي، المجلد: الخامس الجزء: العاشر، دار الفكر.

[٧] التَّوضيح والتَّكميل لشرح ابن عقيل، محمد عبد العزيز النجار، مكتبة ابن تيمية بالقاهرة، مكتبة العلم بجدة.

[٨] توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، أبو محمد بدر الدين المصري المالكي. تح: عبدالرحمن علي سليمان، ط: الأولى، ج١، دار الفكر العربي، ٢٠٠٨م.

[٩] حاشية محمد علي الصبَّان على شرح علي بن محمد الأشموني لألفية ابن مالك، رتبه مصطفى حسين أحمد، المجلد: الأول، دار الفكر.

[١٠] حروف المعاني والصفات، للزجاجي، تح: علي توفيق الحمد، ط: الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٤ م.

[١١] خِزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، البغدادي. تح: عبدالسلام محمد هارون، ط: الرابعة، ج٤، مطبعة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٧م.

[١٢] دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، قرأه محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٩٨٤ م.

[١٣] سَّلم اِّلسان في الصَّرف والَّنحو والبيان، جرجي شاهين عطية، الطبعة: الرابعة، دار ريحاني للطباعة والنشر، بيروت.

[١٤] شرح ابن عقيل على ألفيَّة ابن مالك، محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

[١٥] شرح ألفية ابن مالك حتى نهاية إعمال المصدر، الشيخ علي بن محمد الزامل، ط: الأولى، دار التدمرية، الرياض، ٢٠١١ م.

[١٦] شرح شذور الذَّهب في معرفة كلام العرب، محمد محيي الدين عبد الحميد.

[١٧] شرح قطر النَّدى وبلُّ الصَّدى، ابن هشام، محمد محيي الدين عبد الحميد، ط: الحادية عشرة، المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٦٣ م.

[١٨] شرح الكافية الشَّافية، جمال الدين أبو عبدالله الطَّائي الجياني، تح: عبدالمنعم أحمد هريري، ط: الأولى، دار المأمون للتراث، ١٩٨٢ م.

[١٩] شرح المفصَّل، لابن يعيش، الجزء ٨، عالم الكتب، بيروت.

[٢٠] شرح المكُّودِّي على ألفيَّة ابن مالك، تح: د. فاطمة الراجحي، الجزء: الأول، جامعة الكويت، ١٩٩٣ م.

[٢١] ضياء السالك إلى أوضح المسالك، وهو صفوة الكلام على توضيح ابن هشام، محمد عبدالعزيز النجار، ط: الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ٢٠٠١م

[٢٢] كتاب سيبويه، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تح: عبدالسلام محمد هارون، ط: الثالثة، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٩٨٨ م.

[٢٣] المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ابن جني، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ج١، ١٩٩٩، ص٢٧٠،

[٢٤] مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام، تح: مازن المبارك، محمد علي حمد الله، مراجعة: سعيد الأفغاني، ط: الثالثة، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٢م.

[٢٥] النَّحو الوافي، عباس حسن، ط: الخامسة عشرة، دار المعارف بمصر.

[٢٦] نهاية الأرب في فنون الأدب، أحمد بن عبدالوهاب النويري. ط: الأولى، ج١٩، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٢٣هـ.

[٢٧] همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربيَّة، السيوطي، صححه: محمد بدر الدين النعساني، الجزء الأول والثاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

Inn Alnafiah (denied) in the Koran, the usage and in semantic way

Dr. Mohammad Abdullah Hazaimeh
Assistant Professor,
Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Arts and Sciences in Onaizah
AL- Qassim University, Saudi Arabia

Abstract. Negation is one of the Arabic methods that formed the Arabic identity, and so , there are many negative articles to emphasize this method, " inn " is one of them. Each one presents negation in its general meaning but differs from the rest according to its context. Each article is connected to specific type which is different from the other ones, and this can never be achieved through any other article. Consequently , this paper aims to study"inn" as a negative one in the holy Qur'an and how could negation achieve this in the text. Thus , this study deals with this matter in two level; its usage on the one hand , and its significant on the other hand. The paper is divided into: an introduction, a preface , three chapters , and a conclusion. Chapter I includes the usage of " inn" in the holy Qur'an according to the collected evidences of it. This chapter has shown the different types of its compositions. Besides , it shows its divisions in both nouns and verbs and its classifications. In addition , the researcher could find out the difference between it and the neglected if. Chapter II, has examined the question of the usage of ifand the neglected one , and the views of grammarians in it supporting that with their evidence. In chapter III , I tried to examine the negative " inn " and its distinguished usage that can never be with others using some texts of the holy Qur'an. The conclusion is for the main finding in this paper